مقدمة

يدخل الإنسان بعد اجتياز معابر الإنشاء، وارتياد حدائق الطفولة، وارتقاء مدارج الصبا، في سن البلوغ ثم مرحلة الشباب.

ويتصف البلوغ بحدوث تغيرات طبيعية: جسدية ونفسية. وتعتبر مرحلة الشباب نقطة تحول أساسية في حياة الإنسان، ومرحلة هامة تتسم بالنمائية الجسدية والنفسية والعقلية والروحية والعاطفية والاجتماعية، وتمتاز بالحيوية والجدية والدقة والمعاناة والتحديات، وتزخر بالطاقات المتفجرة، والقدرات الدفاقة، والقابليات المتفتحة، والنشاطات الفياضة.

ولهذه المرحلة مطالب طبيعية محددة، يسعى الشاب الطبيعي لتحقيقها بالأساليب الصحيحة، وتقتضي منه اكتساب مهارات معينة، وإتقان وسائل متجددة، وإيجاد تكيفات مناسبة، واعتماد صيغ ملائمة لمواجهة الأوضاع والمطالب الجديدة، والانطلاقة الوثابة التي يعايشها.

ومن جهة أخرى فإن الانحرافات السلوكية، والاضطرابات العصبية والنفسية عند الشباب في المجتمعات المعاصرة، تشهد تزايداً وتسارعاً إلى درجة تدعو إلى إعلان حالة الخطر العام.

وتشير الدراسات الإحصائية إلى كثرة حدوث الاضطرابات النفسية، والأمراض النفسية الجسدية (Psychosomatic) وحالات القلق والخوف، واليأس والفراغ، والهواجس، والأزمات النفسية، وبالتالي كثرة العيادات والمراكز النفسية، وقد لوحظ ازدياد الاضطرابات النفسية في المجتمعات الغربية، بسبب ازدياد متاعب الحياة وتعقيداتها، وبسبب النظرة الجزئية والسطحية للإنسان في تلك المجتمعات.

وفي الوقت الذي تضاءلت فيه الأمراض الجسدية إلى حد كبير، أخذت العلل النفسية، والأمراض النفسية الجسدية بالارتفاع، وأصبح من المعروف أن أكثر المبيعات من الأدوية في الأسواق الأمريكية والأوربية هي المهدئات النفسية (٤٠٪ من البالغين في أمريكا يستعملون المنومات بانتظام)، كما أن عدد الذين

يتعطلون عن العمل بسبب الاضطراب النفسي يفوق عدد الذين يتعطلون بسبب نزلات البرد والزكام (في أمريكا يبلغ معدل الغياب عن العمل بسبب الزكام وحده ستة أيام في السنة، وفي بريطانيا يصاب نصف السكان بالزكام مرة على الأقل خلال فصل الشتاء)، وأن المصابين بالعصاب يشكلون السدس من المراجعين في المشافي العامة، وثلث المرضى الذين يعالجون من قبل الأطباء بوجه عام .

كما أخذت الانحرافات السلوكية، والإباحية الجنسية، وحوادث الاغتصاب وحالات الإدمان، ولعب القمار، وأفلام العنف، والجنس، والشذوذ، ومرض الإيدز بالتفشي بشكل خطير.

واتسعت دائرة الجرائم والسرقات،وتنوعت أساليب الاختلاس والاحتيال، وفي بعض الأحيان شملت الأحداث والأطفال الذين شاركوا في عصابات الإجرام،أو كانوا في حالات أخرى هم الضحايا، حيث نالتهم مخالب الشر بالخطف والغدر والتعذيب والاعتداء.

وعلى الرغم من تجذّر ونمو هذه الشجرة الخبيثة - التي غذاها المفسدون في الأرض، ونثر المستعمرون ثمارها المسمومة في البلاد، وزينها تجار السوء في الأصقاع - بعيداً عن عالمنا الإسلامي، إلا أن بعض أوراقها الملونة قد اسْتُورِد إلى ديارنا، وبعض سمومها المُغَلَّفة قد تسرب إلى مجتمعاتنا بالعدوى (بطرقها المختلفة)، على شكل أفكار ومذاهب، أو سلوك ومظاهر، أو شخصيات ومحافل.

وتكمن جذور الانحراف في تلك التصورات الوضعية، وما انبثق عنها من أنماط سلوكية متباينة في واقع الحياة،وما أفرزته من آثار ضارة بالنفس الإنسانية،وفي قطاع الشباب بشكل خاص.

والشباب هم العمود الفقري للأمة، وإصابتهم بهذه العلل الفتاكة يؤدي إلى شلل هذه الأمة عن القيام بدورها الريادي في الحياة وانتكاسها إلى الحضيض.

ولن أخوض - في هذه الدراسة لمشكلات الشباب المعاصرة - في تفاصيل الجرائم والشذوذات، ولن أتعرض للأمراض النفسية كالعصابات والنُفاسات

واضطرابات الشخصية، وإنما سأركّز البحث في مناقشة الأزمات النفسية في الطبائع السوية، والصراعات داخل النفس، والأزمات الروحية والنفسية والفكرية، ومأساة الإنسان في الحياة المعاصرة تحت وطأة الحضارة المادية، وبعض المصاعب والمعوقات في مسيرة الحياة، ومشكلات الفراغ والقلق والخوف والوساوس، وآفات التدخين والكحول والمخدرات، وبعض المسائل حول الأسرة والجنس والمرأة والزينة، وبعض أمراض النفس كالكبر والحسد والغضب، ثم نقوم بجولة تأملية في الوجود، ونسعى للتحليق في آفاق السعادة.

ولكل آفة من هذه الآفات أسبابها المباشرة التي سيشار إليها فيما بعد، ولكن هنالك خط عام للانحراف، تتفاقم درجة انحرافه عن خط الاستواء الطبيعي من بلد إلى آخر، حسب ظروفه المحلية والتاريخية والاقتصادية، ومدى ابتعاده عن تطبيق المنهج الرباني، وفعالية تحصينه ضد الأوبئة الزاحفة، وعمق البعد التربوي والنفسي لأفراده، ودرجة الاستعداد الفردي والتربة الشخصية المهيِّئة، وقوة التركيز وشدة الاهتمام وصرامة الحلول في معالجة هذه الانحرافات والمشكلات.

ونخلص أخيراً إلى النتائج والعبر، ونتطلع إلى المستقبل والعمل، ويحدونا التفاؤل والأمل والاستبشار، وننشد الاستقامة على الطريقة لنحظى برضا الله، وننعم بنور الإيمان، ونتفيأ ظلال الهدى والعقيدة، ونغدق بالطيبات من الرزق، والبركات في العطاء، والخيرات والرخاء، ونتنسم الاستراوح من الأزمات والانحرافات والاختناقات والتصعيدات والمشكلات، إلى انشراح الصدر، وسكينة النفس، واطمئنان القلب، ورحاب الفكر، وواحة الأمن، وبرالأمان، ودعة العيش، ونعمة السعادة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.